Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (39), (March, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) ملحق العدد 39 مارس 2026
ردمد: 3014-6266

الاخلاق في فلسفة وليم جيمس

علي سعد صالح الجراي
كلية الآداب العجيلات، جامعة الزاوية
Email: a.algarai@zu.edu.ly

Ethics in the Philosophy of William James

Ali Saad Saleh Al-Jarai, Faculty of Arts, Al-Ajilat, University of Zawiya

تاريخ الاستلام:2026/02/16 –تاريخ المراجعة:2026/03/13– تاريخ القبول: 2026/03/14– تاريخ للنش2026 /04/28

ملخص

إن وجهة النظر المعاصرة للأخلاق لم تنج من تأثير العلم عليها ، فنتيجة لسيادة العلم في كل المجالات الحياة الاجتماعية والطبيعية ، وكذلك النفسية أخذت فكرة النسبية تزداد انتشار إلي أن بسطت ظلالها علي القيم الخلقية خاصة حسب رأي وليم جيمس لا يمكن أن تبنى علي المعرفة العلمية بالحقيقة الموضوعية ، بل إن الشيء المهم هو تلك الإرادة لتأكيد تلك الاعتقادات الأخلاقية التي من شأنها أن تكون مربحة فإذا أدت مهمتها كانت الاعتقادات صحيحة ، ولكن ما هو مربح لفئة من الناس قد لا يكون مربحا للفئة الأخرى ، كذلك إذا حكمنا عن قيمة الأفكار بمقياس تحولها إلي أعمال نعيد ترتيب وإنشاء العالم نجد أن الناسُ مختلفو المصالح ويجب أن يحكموا علي قيمتها غالبا بشكل مختلف .

الكلمات المفتاحية: الاخلاق المعاصرة . النسبية . المنفعة . الإرادة . القيم الخلقية

Abstract:

The contemporary view of ethics has not escaped the influence of science. As a result of the dominance of science in all areas of social, natural, and psychological life, the idea of relativism became increasingly widespread until it cast its shadow over moral values in particular. According to William James, ethics cannot be built upon scientific knowledge of objective truth. Rather, what matters is the will to affirm those moral beliefs that prove to be beneficial. If such beliefs fulfill their function, then they are considered true. However, what is beneficial for one group of people may not be beneficial for another group. Likewise, if we judge the value of ideas by the extent to which they can be transformed into actions that reshape and reconstruct the world, we find that people have different interests and therefore are often bound to judge their value differently.

المقدمة

إن وجهة النظر المعاصرة للأخلاق لم تنج من تأثير العلم عليها . فنتيجة لسيادة العلم في كل المجالات الحياة الاجتماعية و الطبيعية ، وكذلك النفسية أخذت فكرة النسبية تزداد انتشار إلي أن بسطت ظلالها علي القيم الخلقية خاصة ، وبذلك لم تعد القيم الخلقية مطلقة ، فالفلسفة البرجماتية التي ترى أن القوانين الأخلاقية كغيرها من القوانين هي وليدة الحياة الواقعية ، فما ثبت عبر التاريخ أنه نافع جعلناه قانونا خلقيا ننظم به سلوكنا .

حسب رأي وليم جيمس لا يمكن أن تبنى علي المعرفة العلمية بالحقيقة الموضوعية ، بل إن الشيء المهم هو تلك الإرادة لتأكيد تلك الاعتقادات الأخلاقية التي من شأنها أن تكون مربحة فإذا أدت مهمتها كانت الاعتقادات صحيحة ، ولكن ما هو مربح لفئة من الناس قد لا يكون مربحا للفئة الأخرى ، كذلك إذا حكمنا عن قيمة الأفكار بمقياس تحولها إلي أعمال نعيد ترتيب وإنشاء العالم نجد أن الناسُ مختلفوا المصالح ويجب أن يحكموا علي قيمتها غالبا بشكل مختلف.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذا البحث في التعرف على مفهوم الاخلاق عند وليم جيمس وتوضيح للقاري كيف اختلف مفهوم الاخلاق وتطورها عبر العصور كما ترجع أهمية البحث الى رغبة الباحث في التأكيد على أهمية الاخلاق لانها مطلب أساسي للفرد والمجتمع.

اهداف البحث : تتخلص أهداف البحث في بعض النقاط الرئيسية، ومن أهمها :

1-التعرف على مفهوم الاخلاق

2-توضيح اختلاف مفهوم الاخلاق عبر العصور

3- توضيح مفهوم الفعل الارادي عند وليم جيمس

4- التأكيد على دور التفاؤل في تحسين الاخلاق

5- توضيح دور التحسين الخلقي عند وليم جيمس

تساؤلات البحث : تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيسي: هل اثرت النزعة العلمية وفكرة النسبية علي القيم الأخلاقية في الفكر المعاصر.

1. ما المقصود بمفهوم الاخلاق لغة واصطلاحا؟

2- كيف اختلف مفهوم الاخلاق عبر العصور ؟

3- ما هو الفعل الارادي عند وليم جيمس ؟

4- ما دور التفاؤل في تحسين الاخلاق ؟

5- ما هو الالزام الخلقي عند وليم جيمس؟

الدراسات السابقة

هناك بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت بعض من الجوانب **دراسة:** «مفهوم الدين والأخلاق عند وليم جيمس وهنري برجسون: دراسة نقدية مقارنة»، للباحثة دعاء محمد عبدالنظير حماد، سنة 2018، قارنت بين تصورات جيمس وبرجسون للدين والأخلاق، وبيّنت أثر البراغماتية في تحديد معيار الصدق الأخلاقي

. **دراسة:** " الاخلاق في الفلسفة البراغماتية وليام جيمس نموذجا " حسيبة حمداوي ، 2020م تناولت مفهوم الأخلاق في الفلسفة البراغماتية عند وليم جيمس، وربط الأخلاق بالمنفعة والتجربة العملية

. دراسة : " الاتجاه النسبي في الأخلاق في إحدى الفلسفات المعاصرة: وليم جيمس نموذجًا" نجاح موسى علي 2008 درست النسبية الأخلاقية عند وليم جيمس وعلاقتها بالبراجماتية

. دراسة: " موقف البرجماتية من الاخلاق : عرض ومناقشة " قمر مفتاح الرويمي ، 2019م ناقشت الدراسة موقف الفلسفة البراجماتية من القيم والأخلاق مع الإشارة إلى أفكار وليم جيمس ،

. منهجية البحث : سوف يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي ، لانه يقوم علي تحليل أفكار وليم جيمس حول الاخلاق ، ومناقشة هذه الأفكار وتفسيرها

في هذا الجانب تم التعويل على المنهج التحليلي في فلسفة وليم جيمس الأخلاقية

تقسيمات البحث وهي :

المبحث الأول : تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح

أولا : الاخلاق في اللغة

ثانيا : الاخلاق في الاصطلاح

المبحث الثاني : أهمية الاخلاق وتاريخها

أولا : أهمية الاخلاق

ثانيا : تاريخ الفكر الأخلاقي

المبحث الثالث : الاخلاق عند وليم جيمس

أولا : حرية الإرادة

ثانيا : التفاؤل

ثالثا : الالزام الخلقي

المبحث الأول: تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح

من المعروف أنَّ الأخلاق تتمحور حول حياة الإنسان ، و في هذا البحث نحاول فهم تعريفها ودلالتها في اللغة والاصطلاح حتى نلتمس الطريق في هذا البحث

تعريف الأخلاق في اللغة: أولا

الأخلاق " Ethics " لغة : جمع خلق : وهو السجية والمروة والدين ، [1] وهي مأخوذة من كلمة خلق أو إنَّ الخلق هو الطبع والمروة والدين ، فوردت كلمة خلق في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [2]. وجاءت في السنة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "[3] حقيقته أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه وأصافها ومعانيها المختصة بها ، ولها أوصاف حسنة وقبيحة [4] .

يقول توفيق الطويل : إنَّ الأصل في هذا اللفظ أي الأخلاق " Ethics " مشتق من اللفظ اليوناني الذي يرجع على لفظ يقابل ما نسميه بالخلق ، ويتصل هذا الخلق " بالعادات الفردية "habits " والعرف الجماعي [5] "custom " ويقول ابن منظور في لسان العرب : " واشتقاق خليق وما اخلقه من الخلاقة ، وهي التمرين ومن ذلك نقول للذي ألف شيئاً ، صار ذلك خلقا ، أي مرن عليه ، ومن ذلك حسن الخلق [6] "

وفي هذا المقام تجدر الإشارة ، بأنَّ هناك فرق بين والَخَلْقُ و الخُلقُ: فالأول يتعلق بجسم الإنسان وهيئته ، والثاني يتعلق بالجانب المعنوي منه ، أي نفسه ؛ لأنَّ الإنسان مركب من جسد وروح ولكل واحد منهما هيئة وصورة ، إما قبيحة وإما جميلة كما أن الخلق غير التخلق – فالخلق يعني الطبع ، أما التخلق فيعني التطبع أي : التكلف والتصنع وإظهار ما ليس من الطبع ، وتخلق بأخلاقه أي تطبع بطباعه وبغير خلقه ، وتكلف ما ليس من خلقه ، وكما يقال : فليس التخلق بالأخلاق كالخلق . فمن تكلف ما ليس منه من خلق ليس كمن كان الخلق فيه طبعا وسجية ، ولان المتخلق يظهر من خلقه خلاف ما ينطوي عليه فتخلق بكذا أي استعملت من غير أن يكون مخلوقا في فطرته [7] ، ومن هنا يتضح أن الُخَلقَ يعني الطبع لا التطبع ، وهو يتعلق بباطن الإنسان أي نفسه ، كما أن الخلق بصورته الظاهرة ، فالخلق للجسد ، والخلق للنفس.

تعريف الأخلاق اصطلاحاً: ثانيا

لقد تعددت تعريفات علم الأخلاق واختلفت باختلاف المفكرين وعصورهم ومذاهبهم ، وطرق تفكيرهم ، ونظرتهم لماهية الأخلاق وطبيعتها.

فمهمة هذا العلم وضع مثل أعلى يسير بمقتضاه الإنسان مجردا من الزمان والمكان ، وتحديد ماهية الخير والشر فالتطلع الدائم نحو الأفضل ومحاولة الوصول إلي أعلى درجات الكمال البشري ، كل ذلك جعل النظرة إلى الأخلاق نظرة مختلفة . إنَّ سعي الإنسان نحو الكمال جعله يضع معايير ، ومن ثم يتجاوزها إلى غيرها . فمن طبيعة الإنسان التطلع دائماً إلى الأفضل والسمو على الواقع المحسوس ، والتغير في الحياة ومفاهيمها كل ذلك جعل النظرة إلى الأخلاق مختلفة " [8] فتعددت تعريفات هذا العلم بين العلماء والمفكرين والفلاسفة باختلاف عصورهم ومذاهبهم.

وما يمكن الإشارة إليه هنا أن الفلاسفة قبل جالينوس وخاصة الذين كتبوا في الأخلاق أمثال سقراط ، وأفلاطون ، و أرسطو ، لم يضعوا تعريفات محددة للأخلاق ، وربما كان أقدم التعريفات التي وضعت للأخلاق علي هذا الأساس ما ذكره جالينوس (200 – 130 ق.م) الذي ذهب إلي أنَّ " الخلق حال النفس داعيه إلي أن يفعل أفعال النفس بلا روية ولا اختيار (9).

وعرفها جميل صليبا بأنها "ملكة تصدر الأفعال عن النفس من غير تقدم و روية وفكر وتكلف (10)، من هذا التعريف يتبين أن الخُلقَ صفة نفسية ، لاشيء خارجي أما المظهر الخارجي للخلق فيسمى سلوكا ، حيث أن السلوك هو دليل الخلق ومظهره ، رغم انه ليس دائما هذان التعريفان يوافقان ما قرره ابن مسكويه في تعريفه للخلق على انه : " حال النفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين : منها ما هو طبيعي من أصل المزاج غير فكر ، ومنها ما يكون مستفاد بالعادة والتدريب ... ثم يستمر عليها أوّلاً فأوّلاً حتى يصير ملكة أو خلقا (11).

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن الخلق يشمل ما هو فطري في الإنسان وما هو مكتسب ، والصفات المكتسبة تصبح عادة راسخة ، وهذا ما أكد عليه ابن مسكويه في قوله "من غير فكر وروية " وجاء في تعريف أرسطو " أن الفضيلة الأخلاقية تأتي كنتيجة للعادة وأن اسم الخلق ينتج من انحراف بسيط من كلمة العادة (12) هذا التعريف كان في الفضيلة أوردته لأنه يعرف الفضيلة كنتيجة للعادة ، ومعنى هذا أن السلوك أو الفعل لا يكون خلقا إلا إذا صدر عن إنسان دون مشقة أو تكلف ، وبالتالي يصبح عادة عند صاحبه، على ما يبدو أن السبب الذي جعل ابن مسكويه يقسم الحالة الخلقية إلى نوعين هو أن القدماء من الحكماء و الفلاسفة اختلفوا في ماهية الخلق . وقد أشار ابن مسكويه إلى هذا الاختلاف فقال : " إن بعض العلماء قالوا : من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه " (13) . وقال آخرون : " ليس من الأخلاق طبيعيا للإنسان ، ولا نقول إنه غير طبيعي ، وذلك إنا مطبعون على قبول الخلق ، بل ننتقل بالتأديب و المواعظ إما سريعا أو بطيئا) " 14.
بالنسبة لمفهوم الخلق عند الإمام الغزالي عدة تعريفات أوردها في كتبه المتعددة وخاصة كتاب (إحياء علوم الدين وميزان العمل) ولعل أدق تعريفات الغزالي للخلق الحسن وأشملها ، هو ذلك التعريف الذي أورده في الجزء الثالث من كتابه (إحياء علوم الدين) والذي يشبه فيه ابن مسكويه يقول : فالخلق عبارة عن هيئة النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلي فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا سيئا " (15) والَخَلْقُ و الخُلقُ عبارتان مستعملتان معا يقال " فلان حسن الَخَلْقُ و الخُلقُ ي حسن الباطن والظاهر فيراد الْخَلْقُ الصورة الظاهرة ، ويراد بالخُلقُ الصورة الباطنه ، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالنظر و من روح و نفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحدة منها صورة إما قبيحة ، وإما جميلة فالنفس مدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر:(16) وعرفه العالم لالاند في معجمه الأخلاقي بعدة تعريفات عرضها كما يلي :

1 –الأخلاق تعنى مجموعة قواعد السلوك مأخوذة من حيث هي غير مشروطة .

2– وقد يقصد بها العمل أو السلوك المطابق للأخلاق حيث يتحدث عن تقدم الأخلاق

3– كما تعنى نظرية في الخير والشر تتجه نحو نتائج معيارية (17)

وهكذا تختلف الآراء حول معنى محدد للأخلاق تبعا لاختلاف وجهات نظر الفلاسفة، ومع هذا فمن الممكن وضع تعريف عام يصور الإطار العام للأخلاق ، ويحدد القدر المشترك بين مختلف التعريفات ، والمتفق عليه عند الفلاسفة والباحثين في مختلف الأزمان هو أن " الأخلاق هي العلم بالرذائل وكيفية اقتنائها ليتخلى عنها، والإلمام بقواعد السلوك الإنساني ، وبالقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإرادية ، فيحكم عليها بأنها خير أو شر ، مع تحديد الجزاء لكل منها . والغاية التي تتوخاها الأخلاق من كل ذلك هي تحقيق السعادة النفسية والطمأنينه القلبية للإنسان ، وتهيئة الحياة الآمنة ، والعيشة الراضية

في حياته الآجلة والعاجلة [18] فالأخلاق هي أشرف العلوم جميعا ؛ لأنها توصل أشرف مخلوق إلي أشرف غاية إنها تخص المخلوق المميز بالعقل.

المبحث الثاني :أهمية الاخلاق وتاريخها

أولا – أهمية الأخلاق

الأخلاق هي جزء مهم لا يتجزءُ من العلوم النظرية والعملية ،فالأخلاق بالدرجة ألأولى هي بناء يهدف إلي تنظيم المجتمع ،وهي ما يمتاز به الإنسان عن غيره من المخلوقات الحيوانية.

فدور الأخلاق وإن اختلف من عصر إلي آخر ومن أمة إلي أخرى يظل الهاجس الذي ينتظم حياتهم بالاستحسان تارة والاستهجان تارة أخرى ، والإنسان وحاجته إلي الأخلاق كحاجته الماسة إلي العلوم بمختلف أنواعها التطبيقية والنظرية ،فإنه يبقى محتاج إلي الأخلاق ،فما حوته من قيم فاضلة تعد أساس النجاح سواء في الجانب الروحي أو الإنساني.

ولقد اختلف أراء بعض المفكرين حيث يقولون : " إن بعض الناس تخلت عن مبادئهم الخلقية تحت ظروف خاصة ،ولهذا يرون أن الأخلاق ليست إلا صور مصطنعة أو أقنعة اجتماعية يختلف تقديرها بحسب ما تجلب للفرد من نتائج ، ولكن مع هذا لا يمكن لهولاء المفكرين أن يستنتجوا من ذلك الإنسان أو المجتمع يمكن أن يحيا بدون أخلاق ، فقد تختلف المباديء والمعايير من مجتمع إلي مجتمع ومن عصر إلي عصر ، ولكنها تظل دائما صور أو أنماطا خلقية إنسانية [19]).

عندما نحاول التعرف علي أهمية الأخلاق فانه قد يوجد مجتمع مُتخلف ماديا ورغم ذلك يكون علي مستوى رفيع من التقدم الروحي الذي يكون أساسه التمسك بالأخلاق النبيلة والمبادئ السامية ،و هذا المجتمع لا شك أنه يشعر بدرجة من السعادة لا يشعر بها المجتمع الذي لا حظ له من القيم الأخلاقية رغم تقدمه في المجال المادي [20] فالتقدم المادي يجب أن يقترن بالأخلاق لان المعاملة تستوجب أخلاقاً مثل أخلاق أصحاب العمل في التعامل ، والجوار واحترام المهن بمختلف أنواعها واحترام أدمية الإنسان بغض النظر عن لون أو جنس.

إذا كان ألإنسان في حاجة إلي الأخلاق والمجتمع لا يقل عنه في حاجته إليها فكما الفرد يضيره ويفسده أن يكون كاذبا مرتابا حسوداً ماكراً ...كذلك يفسد المجتمع بشيوع هذه الصفات في إفراده ومعنى هذا أن للأخلاق أثارها على الجميع.

وتبرز أهمية من حاجة الإنسان إلي الأخلاق استناد إلى غرائز متنوعة ومتضاربة فمنها الفردي الذي يدفع إلى الأنانية والبخل ومنها الاجتماعي الذي يدعو إلى الحياة في جماعة إلى التعاون ،والإيثار ، والكرم ، ومنها ما يمكن أن يهبط إلي حضيض المادة ، ومنها ما يسموا إلي الروح ذلك أن ألإنسان مخلوق مركب ومركباته جزء ارضي وجزء سماوي وهو جسد وروح وشهوة وعقل ،حيوان وإنسان وشيطان وملاك .ومن ثم كان بحاجة إلي الأخلاق التي توائم بين غرائزه ،وتهذب طبائعه وتسمو بما فيها من عنصر روحي توجهه إلي السلوك اللائق في الحياة كأفضل مخلوق كرمه الله[21].

إنَّ التعمق في دراسة الأخلاق يطرح أسئلة متولدة منها ما الثمرة المرجوة من دراسة علم الأخلاق ؟ وغيرها من الأسئلة شرحها كثير من دارسي هذا العلم . فسقراط *الذي جادل السفسطائيين* في عدة محاورات لقد وحد بين المعرفة والفضيلة "فقال الفضيلة علم والرذيلة جهل " أي أن المعرفة بالخير تكفي لان يكون الإنسان خَيَّرا ،كانت المعرفة سببا في اكتسابه الفضيلة و الجهل فهو يحرم الإنسان من اكتساب الفضيلة[22].

وأمَّا أرسطو فيما يتعلق بالفضيلة ،فالفضيلة لا تكفي أن تعلم ما هي ،بل يلزم علي ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها ، وإيجاد وسيلة أخرى لتصيرنا فضلاء واخياراً ، ولو كانت الخطب والكتب قادرة وحدها على أن تجعلنا أخياراً لا ستحقت كما يقول تيوغنس : " أن يطلبها كل الناس وأن تشتري بأغلى الإثمان " [23] وأرسطو في هذا الجانب يؤكد انه ليس بالكتب والخطب وحدها تكتسب الفضيلة ،بل تدريب النفس ،وصقلها وتهذيبها .واختيار الوسط بين تفريط وإفراط.

إنَّ وظيفة فيلسوف الأخلاق لا تكمن في وصف العادات والسلوك بشكل عام من

خلال وضعه للمعايير ، والمبادئ والقواعد الأخلاقية) " [24])، فأهمية الأخلاق هي إرشاد ونصح وتقييم لزيادة فعالية العمل الأخلاقي داخل المجتمع ، وترك حرية الاختيار للمر ،و علم الأخلاق لا يمكنه جعل الإنسان صالحا بل يريه الخير والشر وأثارهما ،وهو لا يفيد الإنسان ما لم تكن له إرادة تتولى توجيه النفس إلي الخير وإطاعة أوامر هذا العلم وتطبيق مبادئه [25]. دراسة الأخلاق تكسب صاحبها الدقة ومعرفة الأعمال الأخلاقية ، ونقدها وتمحيصها لاستبيانه في الحكم عليها فهذا العلم يفيد في تهذيب الخلق وتربية السلوك ،والسمو بالروح والارتقاء بالإنسان حتى يتحقق كماله ([26]) .

وبهذا يكون علم الأخلاق " صناعة مداواة النفوس وحفظ الصحة وغايته الحصول علي السعادة لأنه أشبه بعلم الطب يقصد إلى سلامة الروح كما يقصد الطب الي صحة البدن ،وإذا كانت مهمة الطب تتمثل في أرشاد المريض إلى ما ينفع صحته ويحدد الدواء المناسب ما أصابه من مرض والأمر بعد ذلك يرجع إلى إرادة المريض إن اخذ بإرشادات الطبيب فتكون له الصحة ... وليس في استطاعة الطبيب إجبار هذا المريض علي شي فإن مهمة رجل الأخلاق إرشاد الإنسان إلى السلوك الأفضل ، والسمو بروحه وهي وقايته من الأمراض الأخلاقية أو علاجها إن أصيب بشيء منها أي يبين له طريق الخير ليتجه إليه وطريق الشر ليبتعد عنه ...وفي هذا الحال أيضا فأن الأمر متروك لإرادة الإنسان فإذا ما توفرت لدية الإرادة الطيبة والرغبة الصادقة الخيرة في التخلق بمكارم الأخلاق ،استفاد مما عرفه وأتجه إلى فعل الخير علي إتيان الشر " [27] فعلم الأخلاق يصف لنا الطريق السوي وما علينا سوى الاستمرار في فعل الخير وإن لم نكن كذلك فعلينا تغيير سلوكنا بإرادتنا "لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم [28].

ثانيا – تاريخ الفكر الأخلاقي :

الأخلاق في الفكر اليوناني : البحث في مجال الأخلاق لم يأخذ الصورة الواضحة في بداية الفلسفة اليونانية

الأخلاق في بدايتها كانت أخلاق عملية مرتبطة بالدين ، أي أشبه بمعاصريهم من الشعوب الأخرى ، وهذا الرأي واضح في أشعارهم يتجلى علي شكل أمثال و حكم ،وكذلك أشعار ووصايا تجري علي ألسنة الحكماء ، والخطباء أذا كان هناك بداية للفكر اليوناني ،تدل فإن " قصيدتي الإلياذة والأوديسة لهوميروس * تتحدثان عن العدالة الإلهية زيوس ،ومحبتهما للفضيلة ، والحكمة ،والشجاعة . وكان المجتمع الأثينيين في ذلك الوقت لا يخلو ممن يقدر الفضيلة الأخلاقية ويتمسك بالشرف ، والأمانة والعفة "[29] وهذا يدل على أن الأخلاق ارتبطت بالدين ، وتركت أثرا خاصاً لدى الشعراء في ذلك الوقت.

-الحكماء السبعة:

" ظهرت عناية الحكماء بالأخلاق ، و بالإصلاح الديني ،والاجتماعي ،و السياسي ، و ورد ذكر بعضهم مثال طاليس ، وسولون ، في محاورات أفلاطون بأنهم اهتموا بالحكم العملية التي كانت نتيجة استقراء للواقع السلوكي للمجتمع اليوناني بصفة عامه " [30].

-الفيتاغورية:

اتجه الفيتاغوريون إلى العناية بموضوع الأخلاق ... وتنبهوا إلي أن الخير يكمن في سيطرة النفس على البدن ، وأن الفضيلة تتحقق بالإعراض عن اللذات ، وأن العفة تعني جهاد العقل للشهوات ، فدعوا إلي رياضة النفس ، والخشونة ، واحتمال ألم الحياة والوسيلة إلى تهذيب أخلاق النفس هي العلم والمعرفة ، ومن ثم فإنَّ تفكيرهم العلمي هو الذي طبع تفكيرهم الأخلاقي وأنهم بدءوا بالعلم كي ينتهوا بالأخلاق [31].

-السوفسطائيون:

السوفسطائيون هم أول من بحث في الأخلاق لأن اهتماماتهم كانت تدور حول الطبيعيات نظر لما كانت تمثله الطبيعة من اهتمام بالغ في نفوس البشر والحركة السوفسطائية التي شككت في كل شي

فأبرز هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم المعلمين يتلاعبون بالألفاظ ،والمعاني ، فيظهر لك الخير شر والشر خير ، وذهبوا إلى أنَّ الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة " فأطاحوا بالحقائق الثابتة في مجال المعرفة ،وأبطلوا القول بالحقائق المطلقة في مجال الأخلاق " [32] وأدي استعمالهم للجدل أربك الناس فأصبحت الأمور نسبية ، وبذلك أصبح الإنسان مقياس الأشياء جميعها فما تراه أنت حق يراه غيرك باطلا ،ولاعتمادهم على الحواس بدل العقل كوسيلة للمعرفة فيقولون " باللذة غاية الأفعال الإنسان ،اعتقادا منهم أن الطبيعة البشرية لا تعدوا آن تكون شهوة " [33] على الرغم من أن السوفسطائيين كانوا باعة للحكمة مقابل المال إلا أنه كان لحركتهم دور في توجيه الاهتمام نحو الإنسان.

-سقراط:

لقد بدأ اهتمامه بالبحث في الأخلاق ، وفي علاقة الناس بعضهم البعض ، وتصدى للحركة السوفسطائية ،فألزمهم بتحديد المعاني ، والألفاظ ، يظهر ذلك واضحاً في محاورات أفلاطون . حيث يعد سقراط في نظر الكثير من الباحثين هو مؤسس علم الأخلاق ، وهو أول من حاول إيجاد نظام عملي بين البشر ، وهو ما يسمى بنظام المعاملات " فيرى بأن المعاملات والأخلاق لا تكون صحيحة إلا إذا أسست على قاعدة أخلاقية صحيحة ، وهي الفضيلة والعلم ؛ لأن الفضيلة هي الخلق الطيب ، وهي عادة الإرادة وتطلق أيضاً علي العمل فيقال بأنَّها فضائل الأعمال " [34] أطلق سقراط عبارته المشهورة " الفضيلة علم والرذيلة جهل لأنه يرى أن الإنسان يريد الخير دائما ، ويهرب من الشر بالضرورة فمن تبين ماهيته ، عرف خيره بما هو إنسان وأرادته حتما ،أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره لا يعقل أنه يرتكب الشر عمدا " [35] بهذا وحد بين الفضيلة والعلم ،فهو يبحث في الخير الأقصى للإنسان الذي يساوي السعادة ،والمعرفة في نظره تساوي الفضيلة لا ينقصها قيمة ؛ لأن الإنسان لا يفعل الخير إلا إذا عرفه ،والعمل الأخلاقي مؤسس علي المعرفة صادر عنها " [36] ولمُ يعرف عن سقراط راية في الغاية الأخلاقية أي بمعنى آخر رأية في المقياس الذي تقاس به أعمال البشر ، ومن حيث الحكم عليها بأنها خيرة أو شريرة ،فيقول " في هذا أن الفضيلة هي أخلاق وتستند إلي أربعة محاور رئيسه وهي :

أ – ينطلق سقراط في نظرته الخلقية إلي أن الإنسان بطبيعته خير فيفعل الخير، ويتجنب الشر .

ب– إن الإنسان في نظر سقراط خير عادل مستقيم ،لأنه هو أساس المجتمع الخير . ج– يرى سقراط بأن النفس الإنسانية هي ....الإيمان والفضيلة تشع من هذه النفس ، فمتى سيطر الإنسان علي قوته الشهوانية بلغ أقصى درجات النفس العليا .

د– ينادى سقراط بالأخلاق العملية فيقول لا فائدة من الأخلاق النظرية لأن الفضيلة والعدالة هي أخلاق عملية وليست نظرية "[37].

– أفلاطون .

كان اهتمامه بالفلسفة وخاصة الأخلاق مبكرا لأنه احد تلاميذ سقراط والمعجبين به حاول أن يطور تلك المباديء السقراطية ويضعها في قوالب ونظريات ،مما شكل مذهبا فلسفيا متميزا في تاريخ الفلسفة ، أن الأفكار الرئيسية في مذهب أفلاطون الأخلاقي [38] وإن كان أفلاطون في محاورتي مينون ،وفيدون يقول إن المعرفة تذكر و اعتمد على نظرية المثل فكان يرى ،وراء هذا العالم المتغير المحسوس عالما أخر روحانيا وأن كل موجود مشخص مثالا لغير مشخص في عالم المثل ،أي العلم العقلي أو الروحي . طبق أفلاطون ذلك في مجال الأخلاق فذهب إلى أن من بين هذه المثل مثالا للخير ، وهو معنى مطلق أزلي أبدي بالغ الكمال ،وإن إدراك المثال يتطلب رباطة جأش ،وتهذيب العقل والنفس ،ومن ثم لا يدرك الفضيلة الحقةَ إلا من كان حكيما وفيلسوفا " [39] فهو بعقلة قادر على إدراك الحقيقي عالم المثل ، والسمو عن الخيال أي عالم الحس ،والذي يكون وجود النفس فيه مؤقتا . .

أفلاطون عندما ربط الأخلاق بالسياسة يقول " إن الأخلاق عنده هي المدينة أو الدولة ،ويعلن أفلاطون بأن السلطة في الدولة لا يجوز إسنادها إلي القوة الوحشية الطامعة لأن ذلك يودي إلي فساد الأخلاق ،بل يجب إسنادها إلي القوة المصحوبة بالتعقل ، والعلم ، والسياسة ، والمهارة ، هي التي تكمن في المدينة الفاضلة ، فيعتبر أن العدالة هي محور الأخلاق لأن الفضائل عند أفلاطون أربع وهي الحكمة ،و العفة ، والشجاعة ، والعدالة ، حيث لا يكون الإنسان فاضلاً إلا إذا كان عمله مطابقا للخير المحض أي يعمل الخير ،والفضيلة للفضيلة ، فالدستور العام للأخلاق هو الاتصال المباشر بأخلاق الله لأنه هو مثال الخير المطلق (40) ، كما يؤكد أفلاطون على " أهمية المعرفة ، ودورها في التميز بين الخير والشر ، والموازنة بين الأشياء واختيار الصالح ، وذلك بعكس الجاهل الذي يقبل الأشياء دونما فهم ولا دراية ، بل قد يقوده جهله إلي فعل الضار ،وترك النافع الفاضل . ولقد سجلا اهتمام أفلاطون بالأخلاق من خلال دعوته إلي تحقيق العدالة في الدولة ، وفي الفرد ،ورأى آن الإنسان العادل شبه بالإنسان الخير لأنهم يمتلكان المعرفة " (41) وقد دعا " إلي ضرورة ضبط النفس ، واعتبره نوعا من الوئام ، والانسجام والنظام "(42) على اعتبار أن اللذات ، والشهوات أعظم أعداء الإنسان وهي توجد خاصة عند ضعاف العقول كالأطفال ، والنساء ،والعبيد ،والرجال الأقل احتراماً

بينما توجد الرغبات البسيطة ، والمعتدلة الخاضعة لسلطة العقل و التفكير في الاقلية العقول النيرة.

– **أرسطو.** :

أول من وضع أسس علمية للأخلاق وذلك في كتابه الأخلاق النيقوماخية و قد تأثر بكل من سقراط وأفلاطون ، فأرسطو يخالفهم في بعض الفروع والتفصيلات ، أولا لم يتبنّ رأي سقراط في الربط بين العلم والفضيلة .كما أنه لم يذهب كلية مثل أفلاطون ، بل كان يميل الي الواقع ، ويتمسك بتجربة الإنسان ،وحياته ، وعني بالأفعال الأخلاقية كما هي وأوضح ما ينبغي آن تكون عليه الأخلاق الفاضلة ، والغاية التي يجب أن يقصدها كل الناس وأن الخير هو الغاية نفسه التي ينبغي (43) والواضح أن أرسطو يقصد بالغاية التي تهدف إليها ، هو الوصول [لان تعددت]فإن هناك غاية الغايات يجب الوصول إليها وهي السعادة ، وإن اختلف الناس حول تلك الغاية . فبعضهم يراها في اللذة وغيرهم في المال ...إلى إلخ إن الفضيلة هي الطريق الذي يوصل الإنسان إلي السعادة ،والفضيلة لا تتحقق إلا إذا قام الإنسان بوظيفته الخاصة به فسعادة الإنسان تتمثل عنده في القيام بمهمته الخاصة التي لا يشاركه فيها غيره كما أن كل عامل يستحق لقب عمله الخاص به إذا هو أجاد هذا العمل وأتقنه ، فذلك الإنسان لا يستحق هذا اللقب إلا أذ قام بمهمتة ووظيفته الخاصة به خير قيام (44) و كانت السعادة غاية تدفع الإنسان الي ممارسة الفضيلة بتوجيه من العقل ، لأن الإنسان يدرك بعقلة أن ممارسة الفضيلة تحقق له السعادة . أرسطو "يؤكد أن الشجاعة ، والعفة ، والكرم تأتي كلها بالتعود والممارسة ، والتكرار لدى الإنسان ، فهي ليست مطبوعة عنده بل هي تأتي بالكسب ،وأن الإنسان مهيأ لاكتسابها حيث يرتبط معنى الفضيلة الخلقية عند أرسطو بمفهوم العدل الذي هو وسط بين الإفراط ، والتفريط (45) وهذا الوسط عند أرسطو" ليس وسط حسابي علي مسافة واحده بين الطرفين ، بل وسط اعتباري يتغير بتغير الظرف ، والعقل وحده القادر علي تحديد هذا الوسط مع مراعاة ظروفه (46) أي أن الوسط يرجع للتقدير الشخصي للحالة المراد الحكم عليها ، فأرسطو يولي عناية خاصة لفضيلة العدالة لمالها من أهمية في فلسفته الأخلاقية ، يرى " أن كل السلوك المطابق للقوانين يكون سلوكا عادلا ... إن هذه القوانين وضعت لمصلحة الجميع أو الأغلبية في الحكم ، وفي مثل هذه الظروف السلوك العادل يؤدي إلي تحقيق سعادة المجتمع السياسي " (47) يعتبر أرسطو انحراف أي نسبه سواء كانت بالزيادة أو النقصان ، هي انحراف عن العدالة ، ولقد قسم العدالة في كتابه الأخلاق النيقوماخية إلي عدة أنواع " هناك العدالة التوزيعية التي تهتم بالأموال ، والعدالة التعويضية أو الإصلاحية أي أن يساوي هذا السلوك اللامتساوي بين الأطراف ، وذلك عن طريق التعويض ، النوع الثالث يسمى عدالة التبادل أي تحقيق العائد النسبي من خلال المصالح المتبادلة بين الإفراد (48) وفي حقيقة الأمر إن أرسطو عندما تعرض لموضوع تحقيق الفضيلة ،هل هي مكتسبة ؟

أم طبيعية رأى " الفضيلة لا تتحقق إلا عن طريق التعود ، والتدريب ، فالفضيلة الأخلاقية تكتسب بواسطة العادة والممارسة ، في حين آن الفضيلة العقلية تأتي عن طريق التعلم ، وبهذا يكون أرسطو قد وضع الطبيعة البشرية في الحياد بين الخير والشر [49] إن الأخلاق كما يراها أرسطو فعل ، وممارسة وإن كانت المعرفة مطلوبة في مجال الأخلاق فأهميتها تكمن في الإرشاد و التوجيه نحو الأفعال الخيرة ، وفي التمييز بين الأفعال ، أن ما تركه أرسطو من مؤلفات في مجال الأخلاق تجعل منه مؤسس علم الأخلاق العملي ، ونقطة بداية لكل بحث علمي.

الأخلاق عند الفلاسفة المسلمين:

أن التكلم عن الأخلاق يلزم علينا التنويه إلي الحقبة ما قبل نزول الوحي علي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم أو كما كانت تسمى بالجاهلية تلك الحقبة التي امتزجت فيها المباديء الأخلاقية بالوثنية ولكنهم كانوا يغيثون الملهوف ويكرمون الضيف وإشعارهم تدل عليهم وذاك الأثر الذي تؤكده حقيقة قالها الرسول الكريم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "

-ابن مسكويه :

يعرف أبن مسكويه الخلق في كتابه تهذيب الأخلاق أنه " حال النفس داعية لها ألي أفعالها من غير فكر ولا رويه ، و تنقسم الحال النفسية العبر عن الخلق إلي قسمين : منها ما يكون طبيعيا ، و من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شي نحو الغضب ، ويهيج من أقل سبب ، و كالإنسان الذي يُجيد من أيسر شي(50)، فقد اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم ، الخلق خاص بالنفس غير الناطقة ، وقال بعضهم . قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ ، ثم اختلف الناس أيضا فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه، و قال آخرون ليس شي من الأخلاق طبيعيا للإنسان ، ولا هو غير طبيعي له ، وذلك أننا مطبوعون علي قبوله ، وإنما ينتقل بالتأديب ، و المواعظ ، إما سريعا أو بطيئا . هذا الرأي الأخير هو المختار لا نناء لمشاهدته عيانا ، لأن الرأي الأول يؤدي إلي إبطال قوة التمييز والعقل . والي رفض السياسات كُلها وترك الناس همجا مهملين ، وإلى ترك الأحداث والصبيان علي ما يتفق أن يكون عليه بغير سياسة ولا تعليم ، [51] أما عن فطرة النفس فيقول " أن نعرف أولأ نفوسنا ما هي ، وما قواها ، ومكانتها ، وغايتها التي فيها كمالها [52] بهذا يكون مسلكه في خطى أرسطو ، وأفلاطون بعدم جسمانية النفس ولا بنحو الجزء ، ولأنها عارضة عليه كما أنها غير صالحة للتغير والاستحالة كما هي طبيعة الأجسام بصلاحيتها للاستحالة ، و التبدل ، وإن كانت صالحة لتقبل الصور[53] ،يقول ابن مسكويه تشوق النفس إلي ما ليس من طبع البدن في علوم مختلفة ،وحرصها علي طلب هذه العلوم وأثارها، و انصرافها عن اللذات الجسمية دليل علي أنها من جوهر غير الجسم [54] فابن مسكوية تأثر بأفلاطون في تقسيم النفس إلي ثلاث قوى .

1. الفكر والنظر في حقائق الأشياء .
2. قوة تتصل بالغضب والشجاعة من الأفعال .
3. القوة الشهوانية.

وتكون غاية النفس الوصول إلي الكمال ، وللنفس ثلاث فضائل رئيسية بعدد هذه القوى تنظم كل فضيلة ، منها فضائل جزئية أخرى تعود إليها . ثم اعتدال هذه الفضائل ، وانسجامها فيما بينها تكون فضيلة آخري هي كمال الفضائل الثلاث السابقة ويقول في ذلك اجمع الحكماء علي أن أجناس الفضائل أربع ، وهي الحكمة ، والعفة ، والشجاعة ، والعدالة [55] كل قوة من هذه القوى الثلاث قدُ يَساءُ أو يحسن استعمالها ، منها البواعث وعوامل مختلفة فقد ترتفع نحو الإفراط ، وقد تهبط نحو التفريط فيكون ذلك شر و رذيلة وأخذ ابن مسكوية من أرسطو هذا الوسط الذي أستخدمه في مجال الفضائل وبعبارة أوضح إن كل فضيلة هي وسط طرفين يعتبر التجاوز عنه ذميما [56].

-أبو حامد الغزالي :

كان له اهتمام كبير بدراسة الأخلاق ، وتحديد مفهومها ووضع المباديء التي تكمن وراء فلسفتها ، وهذه الفلسفة غلب عليها التأثر بالشريعة الإسلامية ، وبالنزعة الصوفية . ويمكن أن نجد بعض تأثير الفلسفة اليونانية في مجال الأخلاق والنفس، وبالنسبة لمفهوم الخلق أو الأخلاق فالغزالي له عدة تعريفات ، وتفسيرات أوردها في كتبه المختلفة التي تتناول موضوع الأخلاق، وعلى الأخص كتابه (ميزان العمل) و (إحياء علوم الدين فقد عرف الخلق الحسن في الميزان بأنه إصلاح القوى الثلاث ، قوة التفكير ، وقوة الشهوة ، وقوة الغضب "[57] ويرى الغزالي " أن يجعل الخلق اسما لما يحصل في سائر الشهوات والقوى من الانقياد والتأدب (58) وفي مكان أخرى يفهم من تعريفه للخلق الحسن فعل ما يكره المرء ، وذلك عندما يقول " فيما عرض لكِ أمر ولم تدر أيهما أصوب فعليك بما تكرهه .لا بما تهوى فأكثر الخلق في الكراهة قال عليه السلام ((حفت الجنة بالمكاره ،وحفت النار بالشهوات))وقال تعالي :﴿ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ([59]) ، وقال تعالي : ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ [60] فكل ما يشير عليك بالدعة ، والرفاهية ، وخطر الكلفة ، وأثار الراحة في الحال ، فاتهم فيه نفسك ، فان حب الشيء يعمي ويصم [61] ، وقد ابتعد الغزالي عن التعريفات التقليدية للأخلاق ، عرف الأخلاق بأنها تكيف النفس وردها إلي ما رسمته الشريعة ، وخطه رجال المكاشفة من علماء الإسلام ، وممن سبق من الأنبياء والصديقين والشهداء ، ومن هنا نجد الغزالي يؤكد أن الأخلاق من أساسها هيه راسخة في النفس مستمرا معها علي الدوام تصدر عنها أفعال حميدة نسبة العادة بدون تخمين أو تذمر [62] ، الغزالي يتبع ابن مسكويه في ربط الخلق بالنفس . وفي تفريع الفضائل الخلقية عن اعتدال هذه القوة الثلاث واعتدال الفضائل الناشئة عنها ، وفي القول بنظرية الوسط التي تقرر إن الفضيلة هي وسط بين رذيلتين يمثلان الإفراط والتفريط [63]) ، الخلق عند الغزالي قابل للتغير والتعديل . وهو يستدل على إمكانية ذلك بأدلة نقليه وعقلية ، ومن الأدلة النقليه قوله عليه السلام : ((حسنوا أخلاقكم))، آذ لو لم يكن تغيير الخلق ممكنا ما أمر النبي به صلى الله عليه وسلم . ولو امتنع تغيير الخلق لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب . وإذا كان تغيير خلق البهائم أمرممكنا فإن تغيير خلق الإنسان من باب أولى لتمتعه بالعقل والإرادة ويمكن تغيير العقل بالتربية والمجاهدة والرياضة بالأعمال الصالحة [64]. .

3- الأخلاق عند الفلاسفة المسيحية

المسيحية أقامت الأخلاق منهجا ومذهبا على الاعتقاد والإيمان بالله وما يشتمل عليه من أوامر ونواهي فأصبحت الفضيلة تطلب لذاتها لا من أجل نتائجها بل لأنها تتفق مع إرادة و أوامر الخالق وكما يقول أغسطين أن الفضائل إذا انقطعت عن الله أصبحت رذائل[68].

-أغسطين * من الطبيعي أن تتصل الأخلاق عند أغسطين وآرائه بمفهوم عن الألوهيه أو الله ،" فكما أن الله مصدر الحقيقة كذلك هو مصدر الأخلاق ، وبناء عليه فإن الحياة السعيدة هي النعيم في الله ، ولا شيء في هذه الحياة يمكن أن يسمى سعيدا فالسعادة والحقيقة شيئان مترادفان ، والذي يطلب الواحد يطلب الآخر وذلك لأن مصدرهم واحد هو الله ، والغاية الأخلاقية هي المعرفة وحب الله و موضوع المعرفة والحب هو القانون الأبدي ، وهذا القانون الأبدي لا يتغير لأنه مودع في النفس منذ البدء و مصدره الله وهو القانون الإلهي ما دام مصدره الله [69] ومؤلفه كتاب مدينة الله" وهي إشارة واضحة إلي أن الخير وكل الفضائل مصدره الخالق ، فيؤكد أن أولئك الذين اعتقدوا بأن الخير والشر موجودان في هذه الحياة ، وقد يتعلقان بالروح والبدن أو اللذة أو الألم أو بالرذيلة والفضيلة جميعهم كانوا سطحيين ... في بحثهم عن السعادة في هذه الحياة " [70].

- تومى لأكويني : علي الرغم من أنه له منهج تحليا يلجا إلي الحجة والدليل ، ولكنه يعارض رأى سلطة الكنيسة ويرى أن الفلسفة هي اليد المساعدة لعلم الأديان والفكر المسيحي في مجمله يستند إلي أن الفلسفة تكمل الإيمان عن طريق العقل

، وأن الوحي يكمل العقل عن طريق الإيمان ، وكما يقول لأكويني أتعقل لأؤمن أي قدم العقل علي الإيمان ، لزيادة الإدراك والوعي فالفلسفة الأخلاقية المسيحية في بداياتها الأولي تمسكت بالدين من خلال المواعظ والحكم التي تجد سبيلا لمشاعر القلوب التي تناولت الحث علي الخير و التنفير من الرذائل والشرور " (71) وقد ظهر العديد من الفلاسفة محاولين التوفيق ما بين العقل والنقل و إرجاع ما يعجز عنه العقل إلي الله فالوحي يمد العقل بما ليس في بمقدوره .

الأخلاق عند الفلاسفة الأوربيين:

في مطلع الحديث عن الفلسفة الحديث وما أسهم به الفكر الغربي والأوربي خاصة من انقسام إلي مذاهب فلسفية تنوعت ما بين التجريبية والعقلية والعلمية والمثالية والاجتماعية ...وغيرها من الفلسفات التي اهتمت بموضوع علم الأخلاق . ومن بين هذه الفلسفات نظرية الواجب لكانط والمنفعة العامة عند جون ستوارت مل.

-كانط : .

إن نظرية الواجب الأخلاقي عند كانط ، باعتبارها تمثل الجانب الأكبر في تحديد الفكر الأخلاقي الأوربي الحديث والسؤال الذي يفرض نفسه ، ما هو تعريف الواجب عند كانط ؟ " إنه يصفه بأنه ضرورة ا لقيام بفعل احترام للقانون (72) الإنسان ليس في حاجة إلي علم ولا فلسفة لكي يعرف ما ينبغي أن يفعل لكي يكون أمينا وخيرا (73) وإن معظم أفعالنا تتفق مع الواجب (74) ذلك لأن المبادىء الأخلاقية هي مبادىء قبلية بحثه " خالصة من كل عنصر تجريبي وأنه لا يمكن أن نجدها أو نجد أقل جزء منها إلا في تصورات العقل الخالصة (75) إذن من السهل علينا أن نفرق بين الأفعال التي تصدر عن شعور بالواجب والأخرى التي تنبع عن حرص أناني على المصلحة . ومثال ذلك " أن التاجر الفطن يتحاشى رفع سعره ،ويحافظ على مستوى سعر ثابت للجميع بحيث يستطيع أن يشتري منه الطفل وأي إنسان آخر ،وهنا لا محيص من الاعتراف بأنه يعامل المشتري بأمانة ،ولكن لا يكفي هذا للاستدلال عن صدور فعله التزاما بمبادي الواجب لأن المصلحة قد اقتضت ذلك ولا تستطيع افتراض أنه يتصرف مع عملائه بوحي من عاطفة نحوهم ،إذن فلم يصدر هذا السلوك لا عن واجب و لا عن ميل مباشر ،بل كان الباعث عليه هو مصلحته الذاتية وحدها (76) يؤكد كانط على أن الواجب هو الواجب حتى وإن لم يتحقق في الأفعال التي نقوم بها في حياتنا ، وعلى الرغم من ذلك سيظل واجبا . والواجب عند كانط مطلق وعام لأن مصدره العقل الإنساني ، في هذا يذهب إلي أنه في هذه الحالة ليس ثمة ما يصوننا من تهافت تام لأفكارنا عن الواجب أو تحفظه بداخلنا احتراما ...لقانونهما فيما عدا الاقتناع الواضح ، أنه ما يزال . ليس اهتمامنا ألان بماذا كان هذا أو تلك يحدث ،ولكن نجد أن العقل لذاته ، وباستقلال عن كل الظواهر بأمر ما ينبغي أن يحدث حين لو لم يكن هناك حتى الآن أفعال نابعة من مثل هذه المصادر الخالصة " (77) ومن هنا نجد كانط هذه الأسس في مذهبه الأخلاقي:

أولا : لكي يكون السلوك أية قيمة أخلاقية لا بد أن يكون مصدر الواجب .

ثانيا : أن تصرف مصدر الواجب لا يكون قيمة في الهدف النتيجة التي يحققها بل في القاعدة التي يرتكز عليها ذلك التصرف أو القيمة الأخلاقية .

ثالثا : ان يكون الفعل بالضرورة يتم احترام للقانون(78)، كما يذهب كانط إلي أن الإرادة الخيرة هي الخير المطلق ، ولذلك نجدة يذهب إلي "إن الإرادة لا تقع تحت سيطرة نزوة عابرة ، ولكنها بحكم طبيعتها الخيرة تأخذ من القانون الكلي نبراسا لها وأن هذا القانون ليس ألا قانون الواجب من وجهة نظره وأساس الإرادة الخيرة ، لا يرتبط الواجب عنده بالرغبة أو المنفعة ... أي تعمل الإرادة الخيرة علي نداء الواجب ذلك لأن الواجب يميز الفعل الأخلاقي بكونه أخلاقيا (79).

مذهب المنفعة العامة:

أن مذهب المنفعة العامة له جذور تاريخية تبدأ من الابيقورية اليونانية فالفيلسوف أرستبس رأى أن اللذة هي صوت الطبيعة وأن الغريزة هي المحرك الأول للانفعال

الإنسان مثله في ذلك مثل الحيوان وجعل معيار اللذة والألم هي معيار لخيرية الأفعال ، وسريتها ،نصر للذة العقلية على اللذات البدنية ، ولكن ابيقور * أتفق مع سلفه من حيث نشدا الناس اللذة مثل الحيوان – بدافع الغريزة ، لكن رأى أن اللذة هي الخير الأعظم ألا أن لها أحيانا عواقب قد لا تكون خيرا فالإفراط في اللذات يؤدي إلي عواقب جسيمة ... وعارض أرستبس الذي أعتبر اللذة مطلقة أنه فطن الي نسبية اللذة لأنها تقاس دائما بألا لم المقابل لها ، كما أعلى أبيقور من شأن اللذات الروحية وأصبحت الأخلاق عنده بمثابة تهذيب اللذات النبيلة ... وكليهما دعوة إلي التحكم في الدوافع الدنيا واعتبر الفضيلة هي مظاهر ضبط النفس ، وتغليب القيم العليا علي القيم الدنيا(80)

-جون ستوارت مل :

لقد تأثر بمن سبقه ، وهو مؤسس مذهب المنفعة بثنام * فقد اعتبر علم الأخلاق علما واقعيا وموضوعه سلوك الإفراد في المجتمعات المختلفة ، وجعل منهج البحث الأخلاقي استقرائيا تجريبيا بعد أن كان حدسيا عقليا (81) ، لا أحد يشك بالطبع في أن مل بدأ من مذهب بثنام ، وانه لم يرفضه من الناحية الشكلية على الإطلاق ، وانه أبقى باستمرار على عناصر منه ، ومع ذلك فإن الجانب المهم في نوع المذهب النفعي عند مل لا يوجد في الأفكار التي أخذها من بثنام ، وجيمس مل * فهي توجد في الأفكار التي أضافها مل نفسه وضغطت علي الإطار البثنامي إلي حد أنه يجب صياغتها من جديد أو التخلي عنها (82) ، وبالنظر الي موقف كليهما من السعادة فعلى الرغم من اتفاقهما علي أن الغاية الأساسية للأخلاق هي تحقيق السعادة ، نجد بثنام تأخذ طابعاً تسيطر عليه الأنانية ، والذاتية ، ولكن ينظر إلي السعادة على الرغم من أنها تأخذ لديه طابعا أنانيا ، ولكن إذا تعارضت و مصلحة المجموع فإنه يضحي بالأول من أجل الثانية ، وبذلك نجد من يذهب إلي أن السعادة الإنسانية هي الشيء الوحيد ذو القيمة الفعلية وإن السلوك الصحيح هذا الذي يتجه إلي مضاعفة السعادة لا قصي حد ، ومن المهم الإشارة إلي أن مذهب النفعية ليس أنانيا ، وذلك لان مضاعفة السعادة قد تطلب تضحية شخصيه ، و منهم من يذهب الي أن مل قلب الأساس في العلاقة بين المصلحة العامة ،والمصلحة الخاصة، كما قررها بثنام فإن بثنام لم يطلب من الأنانيين أن يتخلوا عن أنانيتهم ، وأنمى سعى إلي أن يطلب منهم أنانيتهم تفتح علي الإيثار ، وذلك بتوسيع نطاق شملهم اللذة الشخصية وعلى العكس من ذلك . جاء مل فطالب كل شخص بأن يغلب المصلحة العامة على المصلحة الشخصية (83)، وبالنظر إلي موقف مل الأخلاقي ، وعن رويته المتميزة إلي اللذة التي تودي إلي السعادة ، ورفضه أن ينظر من منطلق كمي فقط ، ولكنه يضيف أيضا الكيف ، ويميزه ذلك الموقف عن غيره من أصحاب مذهب المنفعة ، وفي ذلك يذكر روالف الي أن سياسته الأخلاقية الرفيعة المصحوبة بشعور مرهف في تقديره للقيم ،لم تستطيع أن نضعه بمذهباً يرد كل فعل بشري في السعي إلي اللذة والسعادة ، ويعبر عن جميع مشاعر اللذة والسعادة بطريقة كمية محضة ، وصحيح أن مل يفاضل بين مشاعر اللذة وعدم اللذة ، وانه كان في ذلك نفعيا بحق ،غير انه يدرج في حسابه فروقا كيفية أيضا إذ لا يقتصر في تقدير المشاعر اللذة علي كيفها بل بقدرها أيضا تبعا لمدى علوا قيمتها (84).

بعد اطلاعه على التفكير الألماني – لاسيما بمثالية كانط ، وهيجل * عن طريق شارحها للانجليزية – أحس بأزمة نفسية كانت سببا في إعادة نظرته إلي المنفعة الحسية التي تلقاها عن أستاذه بثنام ، وقد أظهرت دلالات هذا الموقف ضيقه بالأنانية المسرفة التي تقوم عليها النفعية ، ونفوره من للموقف من النزعة الحسية وتبرمه بالجبرية الأخلاقية التي تدعوا إليها هذه النزعة (85).

لقد قام مل بتصحيح مذهب المنفعة في نقطتين :

أ – أن اللذة ليست راجعة إلي اللذة الحسية كما رأى بثنام أن هناك لذات معنوية نفعيه تتصل بحياة الوظائف العليا للإنسان هي أشرف من حياة الوظائف الدنيا ما بين إنسان " (86).

ب – إخضاع المنفعة الذاتية للمنفعة الكلية فطالب الفرد بأن ينصف غيره ويغلب المصلحة العامة علي المصلحة الفردية عملا بنصح المسيح عيسى عليه السلام في معاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به " [87] ومذهب المنفعة العامة كان له بعض التأثير على الفلسفة البرجماتية من خلال الفكرة ونتائجها وغيرها من الأفكار الأخرى .

المبحث الأوَّل:الأخلاق عند وليم جيمس

ولد وليم جيمس في نيويورك 11 يناير 1842 ف من أسرة عريقة في الثقافة والعلم وهو أمريكي من أصل ايرلندي شقيق الروائي الكبير هنري جيمس كان أبوه مفكراً أصيلا وكان لهذا أثر كبير في تربيته كان الأب متدينا من أتباع كالفن *، ولم يكن في حاجة لوظيفة ليرتزق منها . لقد تعلم في المدارس الأمريكية الخاصة ثم أرسل مع أخيه هنري الذي يكبره بسنة واحده إلي المدارس الخاصة في فرنسا .

الأخلاق:

لم يكن اهتمام وليم جيمس بالأخلاق ، كاهتمامه بالمنهج الفلسفي ، أو نظرية الصدق أو نظرية الدين ، وإنما نجد له في الأخلاق أراء مختلفة في جميع المسائل التي قام بدراستها فنجد له كلاما في أبحاثه الدينية ، و نظريته التعددية أو في كتبه السيكولوجية حين يتحدث عن العادة ،أو الغريزة , أو الإرادة وغيرها ، علي اعتبار أن وليم جيمس جمع أفكاره الميتافيزيقية ، والسيكولوجية ، والمنطقية ، والدينية لخدمة الإنسان ، وكذلك نتيجة للفلسفة التي نادي بها ، والتي كان مسرحها الحياة العملية .

وإذا كان وليم جيمس قد أنزل القيم المطلقة و الأحكام العامة من أبراجها وجعلها قيم نسبية ، وجعل الإنسان هو الحكم في تقيم القضايا ، التي تساعد علي اجتياز الصعاب ، أو تأخذ بيده للخلاص من كل مخاطر الطبيعة ، وقد تصلح هذه الأحكام ، و القيم في زمان أو مكان معين ، و تصلح في زمان أخر . على اعتبار إن الفلسفة عند وليم جيمس تساعد الإنسان في قضاء حاجاته ، و تمد له يد العون في حياته العملية ، و تقضي على مخاوفه من سلطة الطبيعة التي تحيط بيه . لذا فأن علي الفرد يأخذ بالمذهب الذي يأتيه بالنفع والسعادة ، أما المذهب الذي يأتي بالعكس فعليه أن ينبذه . والنافع في نظر وليم جيمس هو الحق حتى لو عجز العقل عن أقامة الدليل علي صوابه ، والنفع بهذا هو مقياس الخير والشر ، وهو مقياس القيم كافة [88] فكلمة الحق ، والنافع مترادفتان ، أو قل أن شئت أن الحق و النافع لخيط واحد ، أحدهما داخل العقل والأخر خارجه ، فعندما تكون الفكرة في أول سيرها نحو التحقق نصفها بكلمة الحق حتى أذ ما خرجت إلي عالم الخبرة ، وصفناها بأنها نافعة وقد طبق وليم جيمس نفس هذا القياس على الأخلاق . إن الذي يجعل الفضيلة إنها فعل ناجح ، فإذا استعرضت مختلف المواقف التي يقول عنها الناس أنها من الفضيلة ، أو الرذيلة ألغيت منها جميعا عاملا مشتركا هو وجود الإنسان ، ولو خلا العالم من البشر لبقى العالم غير موصوف بخير أو شر " [89] يرى وليم جيمس أنه لا معنى لقيام علم الأخلاق في عالم ليست به حياة إنسانية إنما به عناصر مادية ، ومركبات كيميائية لا نجد فيه مدلولا للخير والشر ، و الرذيلة ، والحسن، والقبيح ، والإلزام . لا يمكننا أن نقول إن جسما ماديا أكثر خيرا من جسم مادي أخر أنه موجود وكفى، ولذلك يرى وليم جيمس أن الأخلاق تقوم في عالم به كائنات لها مطالب ورغبات وإحساسات ومشاعر هذه الكائنات هي بني الإنسان [90] حيث قال : وليم جيمس في هذا المجال حين يتساءل علي ما نعنيه بكلمة حسن وقبيح ، يظهر أولا أنه ليس لهذه الكلمات من مداول في عالم ليست به حياة شعورية تصور عالما لا توجد فيه إلا حقائق مادية ومركبات كيميائية موجودا منذ الأزل من غير إله ، أيكون هناك معنى للقول بأن بعض حالات هذا العالم خير من بعض ! وإذا أمكن أن يكون هناك عالمان من هذا القبيل ، فهل يكون هناك ما يبرر تسميته أحدهما خيرا و لآخر شرا .... وما الذي يستلزم في عالم مادي صرف إنتاج تلك الحقيقة الأخرى ؟ فالحقائق المادية تكون أو لا تكون ، و لا يمكن أن نفترض مطالب ، سواء أكانت موجودة بالفعل أم لم تكن موجودة ، وإذا كانت لكل من مجرد حقائق مادية ، بل تصبح حقائق ذات حس وشعور . فإذا كان لكل من الحسن

والقبيح وجود ، فلابد أن يكون لها رغبات ، إذا كانت لها رغبات لم تكن مجرد حقائق مادية ، بل تصبح حقائق ذات حس و شعور .فإذا كان لكل من الحسن والقبح وجود فلابد أن يكون لهما تحقيق في نفس ما ، والخطوة الأولى في الفلسفة الأخلاقية هي إبانة أنها لا يمكن أن تتحقق في عالم ذي طبيعة غير عضوية ، وأن بيئتها الوحيدة هي العقل الذي يحس بها وأما العالم المكون من حقائق مادية بحته فلا يمكن أن تجد فيه القضايا الخلقية مكانا (91) فوليم جيمس يرى أن مصدر الأخلاق إنساني ،لأنه الكائن الوحيد الذي له مطالب ورغبات يحتاج إشباعها , و لأن الرغبات ليست من طبيعة مادية ، بل هي حقائق حسية وشعورية لا يمكن أن توجد إلا في كائنات ذات حس وشعور وهذه الكائنات هي الإنسان بكل رغباته . بهذا الشكل نتعرف أن مصدر الأخلاق عند وليم جيمس هو الإنسان لأن الإنسان هو الكائن الخلقي الوحيد في هذا العالم ،ولذا فالمعقول أن يكون الإنسان مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، إن الخير خير بالنسبة له ، والشر شر بالقياس إليه، وفي ذلك يقول وليم جيمس " أن الإنسان هو الخالق الوحيد للقيم في ذلك العالم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتبار هو نعم إن القيم الخلقية من صنع الإنسان ولكنها في بعض الأحيان لا تنفصل علي القيم الدينية ولكنها بدورها موجها إلي الإنسان(92)

حاول وليم جيمس أن ينزل الأخلاق من عالم المثل إلي عالم طبيعي نفسي ، واعتبر أن قيام فلسفة خلقية مستحيل في عالم خالي من التجارب العقلية تبين أن كل واحد منا يساهم في بناء مدلول الفلسفة الخلقية بما يساهم في بناء الحياة الخلقية للجماعة ، و بعبارة أخرى يتبين أن لا يمكن أن يكون هناك حق مطلق في المسائل الطبيعية حتى ينقرض ذلك النوع الإنساني وتنتهي أفعالة أو تصرفاته (93) ،هذا يقودنا إلي القول أن تجارب الإنسانية هي الوحيدة تبنا عليها الأخلاق والفلسفة الخلقية خاصة إذ ينكر وليم جيمس على الأخلاق العقلي المطلق الذي يتضمن مواعظ ، و إرشادات تحث علي الفضائل وترك الرذائل ، أو تلقي على الإنسان القواعد الخالدة و القوانين الثابتة فوليم جيمس يرى أن مثل هذا العلم لا دلالة له ولا معنى ، وإنما المصدر الحقيقي لعلم الأخلاق هو الإنسان ، ولذا كان هو مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة (94) ،بهذا يمكن القول أن وليم جيمس قد جعل مادة الفيلسوف الخلقي هي المثل المتحققة في هذا العالم ، والتجارب الفعلية التي يعانيها الأفراد ويقومون بأدائها, أي تلك التي أجمع البشر عليها من حيث الاستحسان والاستهجان .و ينبغي أن نتمسك بالحسن والقبيح في عرف المجتمع وللزمن فعله وأثره في تطور الفضائل فقد ينهض بعض الأفراد ويرون آراء أو يتمسكون بأفعال جديدة يعتقدون أنها أكثر خيرا مما درج عليها الناس ، فتتغير الفضائل إذا قبلتها الجماعة (95) أن الدور الذي يعطيه وليم جيمس للحكم علي قبح وحسن الأفعال ربما يتغير من شخص إلي أخر فمثلا الثور على حاكم جائر رآه بعض فعلا حسن ،لأن بالثورة عليه ينتهي الظلم والجور، وأما البعض الآخر فيراه عملا قبيحا لأن الثورة ستؤدي إلي نتائج سيئة وقبيحا مثل الدمار والقتل ،والفقر حسب وجهة نظرهم فهناك من يحرم الثورة علي الحاكم مهما تكن الأسباب على سبيل الذكر فإن الفيلسوف الإنجليزي هوبز يرى : أن المجتمع بدون حاكم عبارة عن حشد من الناس بدون رأس ولذا فإن هناك أمامنا خيارين .أما سلطة مطلقة أو فوضى كاملة والسيادة لا تقبل التجزئة فإما أن تكون هناك سلطت معترف بها وتوجد دولة ، أو لا توجد وبذلك توجد الفوضى . وبهذه الحالة لا يمكن مقاومة السلطة ، ولا يوجد تبرير لتلك المقاومة ، لأن التبرير الوحيد يتطلب موافقة السلطة ذاتها ، و التبرير والوحيد عندما تعم الفوضى ويخفق الحاكم بتوفير الأمن (96) وبهذا يرى هوبز تحريم الثورة على الحاكم بكل ما يحمل من خير و شر ولكن لا نتفق مع ما قال بيه هوبز لأن الفضائل تختلف من مجتمع إلي أخر وربما يكن للزمن تأثير في تغييرها .

كان وليم جيمس فيلسوف متفائلا ، أكد وجود الخير وأبعد فكرة الشر ، ولو أنه اعتبرها الوجه الثاني للخير فقد كان أخلاقينا بالمعنى القديم ، وكان يؤمن بالصواب وبذلك لم يضع مبادي عامة لنظرية أخلاقية لها بداية محددة و نهاية واضحة وإلا لا كان قد أتجه إلي بناء مذهب الخير الأسمى ، وإنساق إلي ما نهي عنه أي وضع صيغة قطعية ثابتة ،إذا كان وليم جيمس

يحفزنا في مجال الأخلاق كما حفزنا في مجال العمل إلي ممارسة التجربة و مواجهة الحياة ، و من الخير لكل فرد أن يعتمد علي حواسه الشخصية في مسائل السلوك الأخلاقي ، وهذه الحواس تمثل معياره الأصيل فيما يتخذه من قرارات و ما يقدم عليه من تصرفات [97]، إن اهتمام وليم جيمس بالناحية العملية من حياة الإنسان ، وذلك فهو فيلسوف أخلاقي أكثر مما هو فيلسوف نظرية معرفة أو أي مجال من مجلات الفلسفة النظرية ، وقد حاول في جميع نظرياتها أن يساعد الإنسان في أن يحيا الحياة السعيدة التي يتوق إليها والتي يجب أن يحياها .

وبالرغم من هذا فإن وليم جيمس لم يكن يعترفا بالأخلاق النظرية ، ولا تستطيع الأخلاق في رايه أن تنفرد كعلم قائم بذاته ، وإنما هي قسم من الفلسفة ، والفلسفة قسم منها فالاثنان في الحقيقة طريق موصلين إلي هدف واحد ، ولذلك قسم وليم جيمس فلسفته إلي ثلاث مسائل متمايزة ، أذ يقول : هناك في الأخلاق ثلاث مسائل متمايزة ولابد أن تبقى كذلك متمايزة وتنقسم علي النحو التالي . المسالة السيكولوجية ، و المسالة الميتافيزيقية ، و المسالة المعيارية ، وتعني الأول بالأصل التاريخي لإحكامنا ، ولنظرياتنا الأخلاقية ، وتهتم الثانية بشرح حقيقة كل من الحسن والقبيح والواجب ، وأما الثالثة وهي المعيارية فتسال عن مقاييس الحسن و القبيح [98] أن الأخلاق عند وليم جيمس تتمثل في ثلاث عناصر ، هي حرية الإرادة الإنسانية ،ومذهبه في التفاؤل والإلزام الخلقي.

-**حرية** الإرادة أولا

منذ البداية يصرح وليم جيمس أن الإنسان حر في أفعاله وليس مجبر عليها وطلب من الإنسان أن يسلك طريق ولكن ما الفعل الإرادي عند جيمس ؟ وهل هذا الفعل حر ؟.

لقد ميز وليم جيمس للفعل الإرادي بين عنصرين :

الأول – عبارة عن فكرة في عقل فرد ما وبتحول هذه الفكر إلي فعل حركي ، هذا الفعل الحركي هو الأثر الناتج لسيطرة الفكرة عن العقل .

الثاني – فهو ما ينتج عن الفكرة من حركات جسمية ، فهو شيء فسيولوجي يحدث في أساسه وبذلك يخرج وليم جيمس في هذا العنصر من ميدان علم النفس ويدخله ميدان الفسيولوجيا ، إن خطوة الحركة ،أو الفعل ذاته الناجم من قوة الفكرة خطوة أثر للعقل فيها و إنما هي خطوة ثانوية حيث يقول وليم جيمس " أن الغايات الوحيدة التي تنشا من أرادتنا يبدو أنها حركات جسمية ، ولذا نبدأ من الحكم بأن الآثار الخارجية المباشرة الوحيدة لإرادتنا هي حركات جسمية ، ويجب أن تكون الحركات الإرادية وظائف ثانوية لا وظائف أولية [99] فالفعل الإرادي عنصران فكرة يتبعها حركة ولكن كيف تصدر الحركة عن فكرة ما ؟.

علي هذا يوأكد وليم جيمس بأننا نحتاج إلي فكرة ما لتنشأ عنها الحركة وكذلك نحتاج إلي فكرة عن كمية النشاط العصبي لتتبيه العضلي ، إن الفكرة تصبح فعلا علي نحو سهل إذا توفر شرطان:

1- أن تكون ممثلة لموضوعات الشهوة أو الانفعال ، أي تنم عن لذة.

2-ألا توجد بالعقل أفكار أخرى تعارض الفكرة التي نحن بصددها ،وهذا يضعف سلطان فكرتنا لو أحاطت به أفكار معارضة لها تخفف من أهميتها وقد تجعلها عديمة التأثير"[100] إذن وليم جيمس يهتم كثيرا بالوصول إلي قوة الفكرة وسلطانها على العقل.

إنَّ هذين الشرطين إذا لم يتوافرا كان تحويل الفكرة إلي عمل أمر صعبٍ ، ولكن يرى وليم جيمس أن حل هذه الصعوبة يكمن في عنصر القبول والإقناع . ولكن لكي يتم قبول الفكرة في العقل وإقناعه بها يلزم أن تكون قوية لها سلطة وتأثير ، ولكن متى يكون للفكرة هذه القوة ؟ يرى وليم جيمس أن الفكرة تكتسب قوتها حين يشعر الفرد أنها ضرورة ملحة ، ما مظاهر هذا الشعور ؟ ومظهر هذا الشعور هي أن تسيطر علي العقل وأن تصبح الفكرة مركز اهتمامه ، وأن تطرد الأفكار الأخرى من

كمانها و تكون للفكرة قوة الضرورة والإلحاح عن طريق الجهد ، وتعتبر هذه الإجابة هي مفتاح نظرية وليم جيمس في الإرادة "[101] فجيمس وضع الفكرة المحور الأساسي في نظريته نظرا لقوتها وسلطانها علي العقل والشرط الذي وضعه هو الإقناع والقبول ، وبالوصول إلي إجابة السؤال الثاني هل الفعل الإرادي حر أم مجبر ؟ علي ذلك يرد وليم جيمس أنه يبدو لي أن الجهد ليس رد فعل ثابت وإنما هو المتغير المستقل من بين معطيات الثابتة . وهذه المعطيات الثابتة هي ما لدينا من الدوافع وطباع ،فإذا كان كذلك فإن رغبة الجهد ليست دالة محددة لهذه المعطيات ، ومن هنا تكون إرادتنا حرة ، وبذلك يكون استناد وليم جيمس في القول بالحرية إلي كمية الجهد المطلوبة لقوة الفكرة ليست كمية محدودة ، وركز أن تكون هذه الكمية المحدودة ثابتة ذلك معناه أن الجهد المحدد بالمعنى الدقيق يترتب عليه أن يجعل الفكرة مسيطرة علي شعورنا في أي زمن وفي أي ظرف [102].

مما سبق يتضح أن دفاع وليم جيمس عن الحرية مرتبط ارتباطا وثيقا برغبته في صيانة حقوق الأخلاق أمام الكون ، مما يدل علي أن مذهبه في الحرية وثيق الصلة بنزعته الأخلاقية و مذهبه في التحسن . وحتى عندما دافع عن فكرة الإ كان فإنه يدافع عن هذه الفكرة من وجهة نظر ميتافيزيقية صرفة ، بل من وجهة نظر أخلاقية باعتبار أن الإمكان شرط للحرية والجدة [103] . فالإرادة عنده ليست منفصلة عن باقي مظاهر الحياة بل هي تعبير عن ذلك الميل الذ هني الحركي الذي يدفع بالأفكار دائما إلي إنتاج مجموعة من الحركات ، إلا إذا أعاقتها أفكار مضادة ، وهذا يعني أن كل فعل إرادي هو مجرد نموذج للفعل الذهني الحركي ، وماهية الحركة لا تنحصر إلا في أستعداد الذهن لتركيز انتباهه في فكرة . واحدة مع استبعاد غيرها من الأفكار ، وحينما يتحقق ذلك ، فلابد أن يتولد الفعل على الأثر بطريقة آلية . وعلي ذلك فأن حرية الإرادة عند وليم جيمس إن هي إلا قدرة الذهن على التحكم في جهد الأنتباهي [104] ، أن الأخلاق عند جيمس هي أساس كل بناء إصلاحي حيث تقف إلي جانب التحقق الممكن لمثلنا العليا فالأخلاق كما يراها وليم جيمس هي أخلاق كفاح ونضال وطبيعة الحياة عمل متصل وكفاح مستمر ، وتجدد لا ينقطع ... فلا وجود لأخلاق مكتملة لأنه لا يوجد عالم كامل فهي أخلاق ينمو نموا متصلا ، ولا تتوقف إلا عندما يتوقف العالم وتنتهي التجربة الإنسانية [105] وهذا يوضح لنا أن الأخلاق عند وليم جيمس أخلاق نسبية تتطور وتتغير طبق لتغير الرأي العام الذي يعده جيمس معيار الصواب بالنسبة للأحكام و القواعد الأخلاقية .

ثانيا : التفاؤل

إنَّ نظرية وليم جيمس التي سماها المليورزم " التفاؤل " هي النظرية القائلة بإمكان التحسن أو التحول إلي ألأفضل ، وهو بهذا يقف موقفا وسطا بين مذهبي التفاؤل والتشاؤم لأن العالم عنده ليس خيرا في ذاته وليس شر في ذاته . ويمكننا أن نجعله خيرا بمكافحتنا للشر الذي فيه [106] ، يرى وليم جيمس أن التفاؤل عنصر أساسي من عناصر الدين ويتمثل هذا العنصر في الاعتقاد بعالم غير منظور . ومبرر هذا الاعتقاد أن أثارا على حياتنا هي أثار التفاؤل ، أي إن العالم الخفي قد يوجد نوع من الأمان والارتياح ويبصرنا أن العالم خير ومصدره واسع وأن الكون أوسع مما نرى وأنه يوجد مجال أمكان للحصول على السعادة إن أصابنا عجز أو يأس في عالمنا والتفاؤل الديني بهذا المعنى متصل بمشكلة الخلاص في الديانة المسحية [107] حيث يؤكد وليم جيمس أن وراء هذا العالم المشاهد عالما أخر غير مشاهد لا نعرف عنه شيئا إيجابيا ، ولكننا ندرك أنه ليس لحياتنا هذه من قيمة إلا في علاقتها وارتباطها به , وليس العقيدة الدينية عندي من معنى إلا الاعتقاد في وجود نظام خفي غير مشاهد ، [108] بهذا الشكل يربط

وليم جيمس بين الدين والتفاؤل ، و لا تكون للحياة قيمة إلا من خلال علاقتها وارتباطها بالدين .

.

لم يقرر الخلاص وليم جيمس كما نادت بيه المسيحية ، وألا ينكره كما رأي التشاؤميون الذين نادوا بأن الخلاص مستحيل , وأراد بهذا أن يقف موقفا وسطا بحسب قوله : بأن الخلاص ممكن وإمكان الخلاص عنده قائم علي أساس برجماتي عملي ,أن الخلاص محتمل ويزداد احتماله كلما زادت الظروف التي تدعو إليه ، أن لكل منا مثلا يطالب بها ويرغب فيها ، فإذا ما حقق كل فرد منا رغبة يهدف إليها فإنه قد يكون قد حقق لحظة من لحظات الخلاص ،[109] ومعنى هذا أن البرجماتية تقول بمبدأ الارتقاء والذي يعامل الخلاص لا على أنه واجب الوجود ، ولا مستحيل بل يعامله أن يصبح احتمالا أكثر فأكثر كلما أصبحت الظروف الفعلية أكثر عددا . من هنا يمكن القول أن وليم جيمس يعتبر مبدأ الخلاص ممكنا للوصل إلي الكمال ، لا أحكاما مجردة ، أو عقائد غير إنسانية ، وبهذا ارتبطت نظريته في الخلاص بالميتافيزيقا أي مذهب التعدد * لأنه على الإمكان " [110] ربما تأثر بنظرية داروِن في القول بالارتقاء وكذلك في اختياره للوسط الذي يستعمله أرسطو في الفضيلة بين إفراط وتفريط . إن موقف وليم جيمس

من مذهبي التفاؤل والتشاؤم موقف وسطي ، فلا يسلم بأن أمر الخلاص أمر أكيد مفروغ منه كما وضحنا سابقا هذا من جهة و لا يزعم من جهة أخرى أن أمره مستحيل لا سبيل إلي تحقيقه بل يرى فيه شياً ممكنا من شانه أن يصبح محتملا أكثر فأكثر كلما زادت الشروط المطلوبة لتحقيقه ، ومادام المستقبل مفتوحا ، وما دامت هناك إرادات فردية لا تكف عن العمل عن إنقاذ العالم ، بل مادام في استطاعته كل فرد على حدة أن يقوم بدوره الخاص في عملية الفداء أو الخلاص فليس هناك ما يبرر اليأس من مصير هذا العالم ، هذا فضلا عن أن كل فرد إنما يحقق خلاص العالم حينما يعمل على خلاص نفسه [111] . .

إذن إن جيمس يرى أن خلاص العالم ممكن ، ولكن ليس هذا الإمكان إمكانا تصوريا مجردا فحسب لا يعنينا إلا قليلا ، بالإمكان واقعا عمليا ويتضمن هذا الإمكان واقعتين :

الأولى – إننا متأهبون بما أجتمع لنا من مثل عليا للنضال من أجل تحقيقها ، ويقتضينا أن نتدخل تدخلا فعالا في مصير العالم . .

الثانية – إن هذا العالم ليس كتلة نهائية صارمة ، وإنما هو جماع من عناصر مستقلة بحيث لا يمنعنا مانع من أن نعزل جانبا ما يتراء لنا شرا ونمحو ما يتوجس منه شرا وأملنا من هذا كله أن يختفي كل شر من ذلك العالم النهائي الذي نناضل من أجله [112] ربما هذا ما نسميه اليوم تدخل الولايات المتحدة في شؤون العالم وتتهم البعض بالدول المارقة أو راعية الشر والإرهاب لأغراض أخرى تهدف إليها سياستها وإذ طرحنا سؤال ما هي نظرة وليم جيمس إلي الشر ؟

إن الشر عند وليم جيمس هو القضية التي لم يستطع أن يوجد لها تفسيرا ، فانتابته حالة انطوائية أدت به إلي تناقض نفسي ، وهذا التناقض أدي إلي حالة من القلق ففي قوله : بوجود إله محب للإنسان ، ألتفت إلي فكرة أخرى تصوره القوة الباطشة ، التي لا تحب و لا تعطي إنما تطوي الأشياء طيا بلا قصد ولا غرض وتقذف بها جميعا إلي مصير محتوم [113]. .

إن الخير عند وليم جيمس هو إشباع مطالب الإنسان وتحقيق رغباته . وتحقيق الخير إنما يكون بالنجاح في تجربة من تجارب الحياة ، وكثيرا ما نضطر إلي إتيان أفعال دون أن يكون لنا مسوغ نظري لذلك ، ومعنى هذا أن من حقنا أن نعتنق مبدأ خلقيا أو معتقدا دينيا لا يحملنا على اعتناقه تفكيرنا النظري المجرد ، بل تدعونا إلي اعتناقه مطالب الحياة ومقتضياتها ، ولهذا فإنَّ وليم جيمس يرى أن الفعل الذي يأتيه الفرد خيرا يتحول على صاحبه إلي سلوك ناجح في حياته . وخيرته تتوقف على تقدير صاحبه ، ومن هنا ذهب إلي الفعل الفاضل هو الذي يشبع عند صاحبه رغبة أو يحقق له منفعة بمقدار ما تكون هذه النتيجة بمقدار حظه من الخير ، هذه قاعدة الخير عند الفرد وهي نفسها معيار الخير عند الجماعة وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الخير هو الحل الوحيد الذي يعطي النتائج المثمرة الموفقة ، وهو يساعد الإنسان علي التخلص من مشاكله

" [114] حيث يقول وليم جيمس في هذا الخصوص يكون خير العوالم عالما تشبع فيه كل المطالب وقت صدورها ولابد أن يكون مثل هذا العالم ، ذا طبيعة تختلف كل الاختلاف عن هذا العالم ، الذي نعيش فيه ([115] ومما سبق يتضح أن مذهب وليم جيمس في التفاؤل الخلقي ليس مذهب خلقيا فقط ، وإنما هو منبثق من فلسفة دينية وميتافيزيقية . أي بمعنى أن وليم جيمس حل عن طريق التفاؤل – مشكلة الخلاص في الدين والجدة في مذهب التعدد الميتافيزيقي ، والشر في الأخلاق

ثالثا : الإلزام الخلقي

أذا كانت الأخلاق عند وليم جيمس لا يمكن قيامه في عالم توجد بيه عناصر مادية وكيميائية لأنه يعتبر مداول الخير والشر والرذيلة والفضيلة والحسن والقبيح والإلزام لا توجد إلا في عالم به حياة إنسانية.

ولذلك يرى أن الأخلاق تقوم في عالم به كائنات لها مطالب ورغبات وإحساسات ومشاعر وهذه الكائنات هي بنو الإنسان ([116] ومن هنا تسأل وليم جيمس عن ما تعنيه كلمة حسن وقبيح ؟

فللوهلة الأولي يظهر أنه ليس لهذه الكلمات من مدلول في عالم ليست به حياة شعورية تصور عالما ، لا توجد فيه إلا حقائق مادية ومركبات كيميائية موجودة من الأزل من غير إله ، أيكون هناك معنى للقول أن هذا العالم خير من بعض ؟ وإذا أمكن أن يكون هناك عالمنا من هذا القبيل ، فهل يكون هناك ما يبرر تسميته أحدهما خيرا والآخر شر ، والآن أنا متسائل هل يوجد الحسن و القبح والواجب في العالم المادي وحده ؟ لا شك في أنه لا يوجد لو أحد منهما مكان في عالم لا شعور فيه ، إذ كيف يتأتى لحقيقة مادية أن تكون خير من أخرى ؟ . .. ليست الخيرية علاقة مادية ، إن الشيء في وصفه المادي ، لا يمكن أن يكون حسنا أو قبيحا ، كما أنه لا يمكن أن يكون سارا ومؤلما ولكن ما الذي يستلزم في عالم مادي صرف إنتاج تلك الحقيقة الأخرى ؟ فالحقائق المادية تكون أو لا تكون ، ولا يمكن أن تفرض مطالب ، سواء أكانت موجودة بالفعل أم لم تكن موجودة (حقائق مادية) ، وإذا كانت لها مطالب ، فلابد لها رغبات ، وإذا كانت لها رغبات لم تكن مجرد حقائق مادية ، بل تصبح حقائق ذات حس وشعور . فإذا كان لكل من الحسن والقبيح وجود ، فلابد أن يكون لهما تحقق في نفس ما [117] هو تأكيد علي أن الخير والشر والحسن والقبيح لا يمكن أن يوجدا إلا في عالم بيه أساسات و رغبات وشعور للتفاعل وهذه المطالب لا توجد إلا عند بني الإنسان لأنها الكائنات الوحيد القادرة علي التعبير عن مشاعرها ورغباتها المتجددة . وبهذا يكون الإنسان مصدر للخير والشر والفضيلة والرذيلة [118] ، ومن هنا جعل وليم جيمس مادة بحث الفيلسوف الخلقي هي المثل المتحققة في هذا العالم ، والتجارب العقلية التي يعانيها الأفراد و يقومون بأدائها وحيث يؤكد أن المطالب الملزمة والرغبات المشروعة هي الحاصلة علي إجماع شعبي ،أي الحسن ما يرائه الناس أنه كذلك ،والقبيح ما ينكره غالبية الناس ينبغي أن نتمسك بالحسن والقبيح في عرف المجتمع وللزمن فعله وأثره في تطور الفضائل ، فقد ينهض بعض أفراد ويرون أراء أو يتمسكون بأفعال جديدة يعتقدون أنها أكثر خير مما درج عليها الناس فتتغير الفضائل إذا قبلتها الجماعة [119] علي هذا فالأخلاق عند وليم جيمس يصنعها الإنسان ، كونه المخلوق الوحيد القادر علي الشعور والإحساس بالقيم . وهذه الأخلاق ليست خاضعة لقوة عليا ، وحتى التفاؤل عنده يصنع ، وذلك عن طريق مكافحتنا للشر في هذه الحياة .

ومن هنا يتبين أن وليم جيمس يقرر بأن الشر لا يقل واقعية عن الخير ، وأننا إذا أنكرنا وجوده ، فنكون قد أنكرنا وجود الخير أيضا ، فليس مهمتنا أن نرى العالم خيرا بل أن نجعل منه عالما خيرا .

وما يفهم مما سبق أن الأخلاق عند ليم جيمس هي أخلاق كفاح ونضال ،لأن طبيعة الحياة عمل متصل وكفاح مستمر، وكذلك تجدد لا ينقطع وتطور لا يحده حد ، ومن هنا لا يمكن أن نقول إن الأخلاق مكتملة لأنه لا يوجد عالم مكتمل ، فهي أخلاق تنمو نمواً متصلاً ولا تتوقف إلا عندما يتوقف تجربة أخرى إنسان في هذه الحياة .

الخاتمة

وفي الختام، يتبيّن أن وليم جميس قدم تصورا جديدًا للأخلاق يقوم على الحركة والتجدد، بعيدًا عن الجمود والأحكام المطلقة، فالأخلاق عنده ليست قوانين ثابتة، بل تجربة إنسانية تنمو مع تطور الحياة وتغيّر المجتمع، حيث يصبح الإنسان محور الفعل الأخلاقي وصانع قيمه باختياره الحر وكفاحه المستمر. ومن ثمّ، فإن الأخلاق تظل مرتبطة بواقع الإنسان ومتغيراته، تتطور بتطور الفكر والرأي العام سعياً نحو حياة أكثر توازناً وتقدماً.

التوصيات :

يوصي الباحث بدراسة مدى تأثير البرجماتية والمنفعة في المجتمعات العربية والحياة اليومية ؟

المصادر والمراجع

القرآن الكريم ، رواية قالون عن نافع ، مصحف الجماهيرية ، ص 2-6، ص66-67،ص 68-69.

أولا : المصادر :

1- أبو حامد الغزالي . ميزان العمل . تحقيق ، سليمان دنيا ,دار المعارف مصر الطبعة الأولى ، 1964 ف ،ص-64-70

2 - أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين ، دار الطليعة ، بيروت الجزء الثالث ، ص15-16.

3- ابن مسكوية .تهذيب الأخلاق ، تحقيق ابن الخطيب ، المطبعة المصرية ، بدون طبعه وتاريخ ، ص11-13، ص 14-57، ص 58-60 .

4 - أرسطو . الأخلاق النقوماخية ،ترجمة :أبوبكر التلوع ، منشورات جامعة الجبل الغربي ، الطبعة الأولى ، 1998 ف،ص 12، ص22-50.

6- أفلاطون . الجمهورية ، ترجمة : أبوبكر التلوع ، منشورات الجبل الغربي ، بدون طبعه ،1997ف

7 - أفلاطون . تيماوس ، ترجمها للفرنسية البر ريفو وترجمها للعربية : فؤاد جرجي بربارة ، منشورات وزارة الثقافة . دمشق 1968 ف

8- أفلاطون ، محاكمة سقراط ، ترجمة :عزت قرني ، مقدمة المترجم ، ص 44-46.

12- رودالف منس . الفلسفة الانجليزية في مائة عام ، ترجمة : فؤاد زكريا ، وزارة النهضة العربية ، 1963 ف، ص 90

18- وليم جيمس . البرجماتية ، ترجمة . محمد علي العريان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، بدون طبعه ،1965 ف ،ص 114.

19- وليم جيمس . إرادة الاعتقاد ، الجزء الثاني ، ترجمة : محمود حب الله ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة 1949 ف ،ص 97-98، ص99-104،ص113-118،ص 120-122.

20- وليم جيمس . العقل والدين ، ترجمة :محمود حب الله ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1949 ف ، ص 103.

المراجع :

1- احمد امين ,اكتاب الاخلاق ، موسسة هنداوي 1923 ف ، 312 - 73 .

3 ابن أحمد . الجامع الكبير . دار النهضة المصرية ، القاهرة **ب ت**

2- ابوبكر التلوع . الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ص 23-27،ص43-53،ص69-71،ص74-76.

10- اشرف حافظ . معالم الفكر الأوروبي في العصر الوسيط . دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية ، الطبعة الأولى ، 2004 ف ، 75.

1- توفيق الطويل . أسس الفلسفة ، الطبعة الحادية عشر , بيروت دار النهضة العربية ، 1990 **ف** ، ص 5-6-78،ص91-93.

16- توفيق الطويل . جون ستوارت مل ، نوابغ الفكر العربي، بدون طبعه وتاريخ ،ص 86.

17- توفيق الطويل , فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها ، دار النهضة العربية ، مصر ، الطبعة الرابعة ، 1979 ف ،ص 29-30،ص31-52.

19- جعفر المهدي صاحب ، في الفلسفة السياسية ، دار النخلة ، تاجوراء طرابلس ،1997 ف

26- زكريا أبراهيم . المشكلات الأخلاقية ، مكتبة مصر الفجالة ،1969ف، 85.

27- زكريا إبراهيم . دراسات في الفلسفة المعاصرة ، دار مصر للطباعة ، بدون تاريخ ،ص 109-116.

28- زكي نجيب محمود . من زاوية فلسفية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1980 ف ،ص94-95.

32 - عبد الرحمن بدوي ، ربيع الفكر اليوناني ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،الطبعة الثالثة ، 1958 ف ،ص 28.

34- عبد الرحمن بدوي ، الأخلاق النظرية . وكالة المطبوعات الكويت الطبعة الثانية ،1975 ف ،ص 89.

35- عبد المقصود عبد الغني . الأخلاق بين فلاسفة اليونان وحكماء الإسلام ، مكتبة الزهراء القاهرة ،1993 ف ،ص 19-20،ص26-41.

36- عمر محمد التومي الشيباني . مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، دار الكتب العربية ، الطبعة الثالثة . 1982 ف ،ص 56-62.

38- فايزه أنور احمد شكري . القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم ، دار المعرفة الجامعية ، الآسكندريه ، 2002 ف،ص18.

39- فتحي الشنيطي . المعرفة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة،بدون طبعه وتاريخ،ص 117.

40- فردريك كوبلستون . تاريخ الفلسفة ترجمة : محمد سيد و امام عبد الفتاح أمام ، المركز القومي مصر المجلد الثامن ، الطبعة الأولى ، 2009 ف ،ص87.

47- محمد عبد الحفيظ . دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، دار الوفا ء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية، الطبعة الأولى ، 2005ف ،ص84-88.

50- محمد عبد الرحمن مرحبا . المرجع في تاريخ الأخلاق ، جروس برس ، طرابلس لبنان ، الطبعة الأولى .، 1988ف،ص 24-25.

56- محمد محمد طاهر الخاقاني . علم الأخلاق ، دار مكتبة الهلال الطبعة الأولى، 1987 ف ،ص 42-59.

58- محمد فتحي الشنيطي . وليم جيمس ، مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الأولى ،1975ف ،ص 110.

59- محمود فهمي زيدان . وليم جيمس ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الاسكندرية الطبعة الأولى ، 2005 ف ،ص96-100،ص101-104،ص105-106،ص107-108.

60- مقداد الجن . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1972 ف ،ص8.

45- يوسف كرم . تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم بيروت ، بدون تاريخ .

. تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار العارف مصر 1986

المعاجم والموسوعات :

3- أبن منظور . لسان العرب . تقديم الشيخ عبد الله العلالي ، ج 2 ، بيروت دار الجبل , 1988 ف ،ص 4 -6.

4- الطاهر الزاوي . مختار القاموس ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، بدون طبعه ،1979 ف.

5- أندرية لالاند .موسوعة لالاند ، تعريب :خليل احمد خليل ، م 2 ،منشورات عويدات ، بيروت ، 1996 ف ،ص 17.

- جميل صليبا المعجم الفلسفي . دار الكتاب اللبناني بيروت ، 1981 ف، 10.

الرسائل :

2 - محمد العربي جامع .طبيعة الأخلاق عند أبن مسكوية . جامعة السابع من أبريل ، غير منشورة ، 2001 ف ، 51 -72.